د. فوزى عيسى

لدىَّ أقوال أخرى

شـــعر

الغلاف والرسوم التعبيرية
سميّ المنطاوى
★ ★ ★

الطبعة الأولى
١٩٩٠



هذا الديـــوان

تقديم الدكتور السعيد الورقى

فى الديوان الأول الذى صدر عام ١٩٨٦ بعنوان « أحبك رغم أحزانى » قدم الدكتور فوزى عيسى غنائيات ذاتية تعشق الحياة الحب والحياة المرأة .

قدمت تجربة « أحبك رغم أحزانى » مشاعر عامرة ببكارة الإحساس بالحياة ، فكانت ثنائية الحياة المرأة وحدة امتزاج أحياناً ، كما كانت انعكاساً متبادلاً أحياناً أخرى .

وربما ضمَّ هذا الديوان الأول غير قصيدة ، قدمت الصوت الآخر للشاعر ، وهو صوت وجدانه الجماعى بالخروج إلى الغيرية ، والاقتراب من قضايا الواقع ، ولكن هذه النماذج لم تمثل آنذاك ظاهرة واضحة بالقدر الكافى .

وقد أدرك الشاعر فى داخل الدكتور فوزى عيسى بعد تجربة الديوان الأول الحاجة إلى الوقوف بتركيز أكثر عند قضايا الواقع والعصر من خلال وجدان تتوحد فيه تجربة الذات بتجربة الجماعة ، وتتعدّد فيه المواقف ، وتتجاور الوجوه ، وهكذا كانت أشعار ديوانه الثانى الجديد الذى نقدمه اليوم للقراء « لدىّ أقوال أخرى » حيث تتجاور وتتحاور تجربة الذات ووعيها بهمومها مع تجارب الآخرين وأحداث العصر والواقع فى علاقات متبادلة ، فتنعكس تجربة الواقع على وعى الذات ، وينعكس إدراك الذات ووعيه على قضايا العصر والواقع .

★ ★ ★

تقدّم قصائد هذا الديوان الثانى فى معظمها تجربة شاعر معاصر يعى وجدان عصره وقضاياه ، ويعيشها همّاً يكدّر عليه حياته ، ويحرص على أن يكون له موقفه الواضح المحدّد من هذه القضايا ، ثم هو يسعى من ناحية أخرى ـــ ومن خلال الوعى المدرك أن

يوضح السلبيات وأن يضع يده على المساوىء ، متفحصاً مدققاً ، وأن يحدد فى النهاية المسئوليات التى تتوزع بين ظروف الواقع وقهره وبين سلبية الذات وتخاذلها ، ثم يطرح الحلول فى النهاية مقدّماً تصوراته للخروج من هذه الأزمة :

آهِ ياقلبىَ المستهامْ
كيف تعتاد هذا الزمان الردىء ،
زمان المساحيق والعهرِ
والصفقاتِ المريبةِ والقهرِ
والردةِ الجاهليةِ والإنهزامْ
وقد عشتَ تحلم بالدفء ،
بالمدن البابليةِ ،
أدمنت لوناً غريباً من الحلم ،
لوناً غريباً من العشقِ
يمحو صداهُ فراغ الزحامْ
هل الحب يكفى .
لنعبر درب المستحيلاتِ
نقهر هذا الظلام العتىَّ

نسدّ المسافة بين الخصام وبين الوئامْ ؟
أم تراه يضلّ الطريقَ ،
يموت غريباً
تشيّعه قهقهات اللئام

(اغتراب)

* * *

أزمة الشاعر هنا هى أزمة الشاعر العربى المعاصر وهو يعاين قضايا واقعه من خلال إحساسه بانهيار هذا الواقع مادياً ومعنوياً ، وإحساسه بالتبلّد الذى أصبح سمة الإنسان العربى .

فثمة أراضٍ عربية لاتزال محتلّة ، والانقسام والفرقة هما الصفتان السائدتان فى علاقات الدول العربية ، والقيادات المطلقة فى حكمها الفردى تقتل الحريات وتقهر الإنسان ، وكل الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية المحيطة به تسلمه إلى اليأس والعجز ، وتصيّره مسخاً مشوهاً ، فيحيا يومه فى مذلة لاتليق بكرامة الإنسان ، غريباً عن زمنه ومكانه :

كيف للقلب أن يعرف الإبتسامْ
والصقور تروّع سرب الحمام
والخفافيش ترتع وسط الظلام
والعصافير تهجر أوكارها لبلادٍ
ترجىّ لديها بقايا طعامْ
والبلاد التى تسكن القلب
قد أسلمت رأسها للرّغامْ

(اغتراب)

ومن الطبيعى هنا أن يسيطر الحزن على رؤية الشاعر وعلى صياغته الشعرية .. وهكذا ارتبط الحزن هنا بالأداء الشعرى ، ولم يكن مجرد مشاعر متبقية من المرحلة السابقة ، مرحلة الحزن الرومانسى فى ديوان « أحبك رغم أحزانى » ، فهو ــ هنا ــ حزن نابع من معاينة الشاعر لواقعه وإحساسه بمأساة هذا الواقع ورفضه المطلق لكل القيم السلبية التى أصبحت ملامح هذا الواقع ، ثم إحساس الشاعر من ناحية أخرى بالعجز أمام هذا المنطق المرفوض .

ولأن الحزن هنا ليس امتداداً للحزن الرومانسى أو أثراً من آثاره ، نجد الشاعر هنا يرفض الاستغراق فيه والاستسلام له . إن إخلاصه لتجربته ووعيه بموقفه من عصره وقضايا واقعه تتطلب منه أن ينهض بالمسئولية وأن يلتزم بالموقف . وهكذا اندفع الشاعر إلى تعرية الواقع تعرية تستهدف التبصير والإنارة ، كما تكشف عن حرصه على أن يسجل شهادته على العصر والواقع ، وهنا استخدم الشاعر أسلوبين مختلفين للأداء ، آثر فى الأسلوب الأول التعبير الصريح فى أداء واقعىّ فى قصيدة « اغتراب » .

أما الأسلوب الثانى — وهو الأكثر شيوعاً — فهو أسلوب الأداء الرمزى الذى يعتمد على تعدد الأصوات واستحضار الرموز التراثية واستغلال انعكاس الرمز وكثافته وتعدد مستويات الأداء الدلالى فيه كما فى قصائد : « الجواد الذى كبا » ... « أقوال أخرى للحلاج » ... « مكاشفة » .. « تداعيات ديك الجن » ... « دع الآن ذكر الدمى » .

* * *

ويزداد عمق وعى الشاعر بمسئوليته تجاه واقعه وعصره ، عندما يسعى إلى تقديم تصوراته للخروج من هذه الأزمة الذى يراه فى السعى إلى إحياء عصر الفروسية العربية والتألق العربى ، وذلك معقود بالبطل الحلم والمعجزة ، بطارق السيف والسنبلة الذى يوحّد بالحب ويسود ويسوس بالقوة العادلة :

لا شىء يفتديكِ
غير أن يعود طارقٌ
فيجمع الكتائب المهلهله
ويحرق السفائن التى تآكلت
ويشعل الحماس فى المقاتله
فهل يعود ـــ بعد ـــ يامدينتى
وفى يديه سيفه وسنبله

(الطريق إلى طليطلة)

وهنا يبرز الحب مخرجاً . والحب هنا عطاء بلا حدود ، وقدرة على الامتزاج والحلول الصوفى :

ها أنذا أجمع أشلاءكِ
من ذاكرة الأيام السوداءِ ،

أحاول لثملكِ ،
أحضن هذا الجسد المتألّه ،
أنسج من ريشي فيئاً
وجناحيّ نسيماً
حتى أبعث فى شريان القلب الساكنِ
نبض حياه
يورق فى أزمنة الجدب الصفراء .

وتصبح قصائد مثل « يقولون » و « مكاشفة » أغنيات حبّ معذب ودافئة ، تمتزج فيها ذات الشاعر بمحبوبته وطنه فى حنان وارف الظلال ، يتغنى بعذابات الوطن وجراحه ، وبأشواقه وطموحاته ، ويتشوف معه إلى فجر الخلاص :

ومهما حجبت الجوابَ ،
فإنَّ المحبين يغتفرون الإساءةَ ،
يفنون عشقاً ،
يذوبون وجداً ،
تبوح بسر الغرام العيونْ
أحبك لحناً يطوف على شفة المتعبين

وغيثاً يزف نداهُ إلى الظامئين
أحبك رغم احتجاجى عليكِ
ورغم التجاعيد فى وجنتيكِ
ورغم انكساركِ .. رغم الذبول
ورغم الكآبةِ فى مقلتيكِ
ومهما قسوتِ ، ومهما نأيتِ
يظل حنينى وشوق إليكِ
أحبكِ ... كونى كما شئتِ
كونى عذابى وجرحى
وكونى ملاذى وفرحى

(يقولون)

★ ★ ★

الظاهرة البارزة فى الديوان أن الشاعر لم يقف عند مجرد الانفعال المشبوب فى النظر إلى قضايا واقعه ، إنما كانت نظرته إلى هذه القضايا نظرة تتسم بالإحاطة والشمولية وتكشف عن التزام واضح من الشاعر بهذه القضايا ، ومسئوليته تجاه عصره وواقعه ،

وبالتالى فقد نجح الدكتور فوزى عيسى فى أن يؤكد للقارىء أن لديه فعلاً أقوالاً أخرى غير إيقاعات الحب فى زمن الحزن ، وأن هذه الأقوال لاتعتبر انفصالاً تاماً عن تجربة الذات لأنها رؤية أوسع وأعمق وأكثر إحاطة .

★ ★ ★

وإذا كانت قصائد الديوان الأول للدكتور فوزى عيسى « أحبك رغم أحزانى » قد قدّمت تجربة أكثر انتماءً إلى المدرسة الرومانسية صياغة ولغة وأداءً تعبيرياً ، فقد حاول الشاعر فى ديوانه الثانى « لدىّ أقوال أخرى » أن يتجاوز القصيدة الرومانسية الغنائية وحيدة الصوت باستحضاره عدة أصوات واستخدامه لأسلوب المونتاج وتعدد المقاطع من أجل توفير بناء درامى للقصيدة الشعرية وتم له تحقيق هذا فى بضعة قصائد هى « دع الآن ذكر الدمى » و « تداعيات ديك الجن » و « مكاشفة » و « أقوال أخرى للحلاج» وأعتقد أن هذه القصائد تمثل آخر ماكتب الشاعر .

وباستثناء هذه النماذج ظلّ للصياغة الرومانسية تأثيرها الواضح على قصائد الديوان ، خاصة فى توظيف الشاعر لصوره الشعرية السابحة فى جوّ رومانسى خالص ، حيث يعطى الشاعر لمحبوبته وشوشة الريح فى الصيف ، وهمس النسيم المسافر ، ويمنحها عطر الربيع المطرّز بالنّور فى قصيدة « احتواء » ، وحيث تأتلق عينا محبوبته فى ليله ، وتنسكبان فى صحراء أيامه غيثاً ينمّى العشب والزهر فى قصيدة « وقبلك عشت منفياً » ، وحيث يهيم البحر بالإسكندرية منذ الأزل ، فيطوى المسافات شوقاً إليها ، ويسمعها وشوشات الغزل ، وحيث أمواجه الهائمات تدغدغها بشهىّ القبل ، كما فى قصيدة « الإسكندرية دائماً » .

ولايزال الشاعر هنا واقعاً تحت تأثير الموسيقى الرومانسية بإيقاعاتها النفسية والظاهرية التى تحتفى بألوان من القافية الموزعة داخل سطور القصيدة الشعرية وذلك باستثناء تلك النماذج الدرامية التى

تقدم بداية مرحلة فنية جديدة فى شعر الدكتور فوزى عيسى سوف تتضح خصائصها وملامحها أكثر فى الأعمال التالية .

★ ★ ★

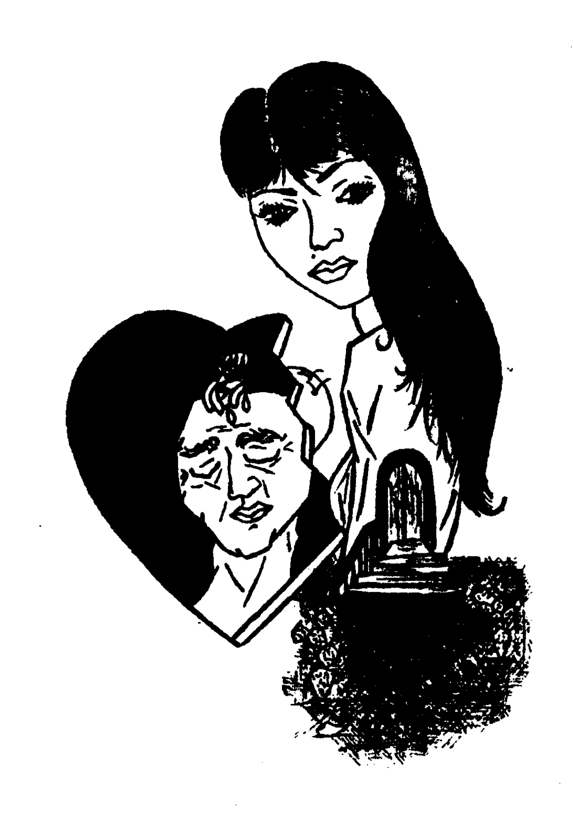
وبعد ... فهذه مجرد مقدمة تحاول أن تقدم بين يدى القارىء عملاً جديداً جديراً بالقراءة والدرس ، ومن ثم فقد اكتفت بوضع يدى القارىء على المفاتيح الأولى للقراءة راجية أن تجد من النقاد والدارسين الاهتمام المناسب .

د. السعيد الورقى

لديَّ أقوال أخرى



إحتـــواء



إحتـــواء

أتيتُــكِ ...
أحملُ فى قلبىَ المستباح
جراحَ النبييــن ...
كلَّ عذاب المحبّيـنَ ...
ألتمسُ البرءَ إذ مسنَّى الضرُّ
فلا توصدى البابَ دونى
ولا تُنكرينــى
فكلُّ المنــازلِ ...
قد أوصدتْ بالأسنة أبوابها
وكلُّ المصابيــح ...
قد أطفأتها الرياحُ
وكلُّ المسافاتِ تفضى إلى الوهم
والمســتحيل

وكلُّ العيون تحاصرنى ...
تقتفينــى ...
وحين رأيتكِ خلف السراب البعيدِ
قطعتُ المسافاتِ عدواً إليكِ
وقد طال ليلى
فلا تخذلينى

★ ★ ★

سأعطيكِ وشوشة الريح فى الصيفِ ،
همسَ النَّسيم المسافرِ ،
عطرَ الربيع المطرَّزِ بالنَّوْرِ
بحراً من اللازوردِ
بلونِ عيونــى ...
سأعطيكِ صهوةَ هذا الجوادِ ــ
المطهَّم بالحــبّ ،
فى زمنٍ تتراجعُ فيه الخيولُ ...
عن الكــرِّ والفــرِّ ...
تختالُ فيه بغاثُ الطيورِ
فمــدّى يديــكِ ،

فإنى توضأتُ من موج عينيكِ
هيأتُ دربَى للفجرِ ،
أوقفتُ عمرى عليكِ ،
حلمتُ بعينيكِ منذ الطفولةِ ــ
نهراً من الدفءِ يسكننى ...
يحتوينى ...

* * *





الطريق إلى طليطلة



من أين نبدأ المسيرَ ياطُليطلةْ
وطارقٌ يغيـــبُ ،
والسيوفُ قد أصابها الكلالُ
والخيولُ فى العراء مُهملةْ ؟!
من أين نبدأ المسيرَ
والزمانُ لم يعد هو الزمان
والوجوهُ لم تعد هى الوجوه
والقلوبُ بالهموم مثقلةْ ؟
وأنت فى القيود ترسفينَ ...
ترقبين ساعةَ المنازلةْ
ووجهك الحزينُ غاضَ ماؤهُ
وجفَّف الخريفُ جدولَهْ

وصمتك النبيلُ يبعث الشجونَ ،
يستثير فى قلوبنا الحنينَ والولَهْ
لا. شىء يفتديـكِ
غير أن يعودَ طارقٌ
فيجمع الكتائبَ المهلهلَهْ
ويحرق السفائنَ التى تآكلتْ
ويُشعل الحماسَ فى المقاتِلهْ
فهل يعودُ ـــ بعدُ ـــ يامدينتى
وفى يديه سيفهُ وسُنبلهْ ؟

* * *

الجواد الذى كبا



الجواد الذى كبا

الجوادُ الذى كان يثيرُ النقعَ ،
ينهبُ الأرض ،
يفتح المدائن المنيعةَ شرقاً وغرباً
أصابه الإعياءُ !
قيل : إنَّ المماليك قد أهملوه
ثم ألقوا به إلى الجُبِّ
فعضته حيّةٌ رقطاءُ ؟
قيل : أدركته الشيخوخةُ
فلتطلق عليه رصاصاتٌ
فليس ثمَّ دواءُ
إنه مقعدٌ فى فراشهِ الآنَ ،

تشكو عروقَهُ المحاليلَ ،
يلتفُّ حوله الحكماءُ

* * *

قالت الفحوصُ : ذاك داءٌ عضالٌ
ليس يُرتجى منه ـــ بعدُ ـــ شفاءُ
خرج الأمرُ من يد الأساةِ
ولم يبقَ غيرُ انتظارِ معجزةٍ ،
فهل تمنُّ السَّــماءُ ؟



وقبلك عشت منفياً



هما عيناكِ يأتلقانِ فى ليلى
فيرسلُ ضوءَهُ القمرُ
وينسكبانِ فى صحراء أيامى
فيهمى الغيــثُ ،
ينمو العشـبُ والزَّهَـرُ
همـا زادى ..
إذا ما هدَّنى الترحالُ والسَّفَرُ
همـا قـدرى
وهل ينجو المحبُّ
إذا رماهُ بسهمهِ القدرُ ؟!

* * *

وقبلكِ عشتُ منفياً
ربيعَ العمرِ ... أنتظرُ
وكان الشوقُ فى عينىَّ
يحتضـــــرُ
وكان اللحنُ فى شفتىَّ
ينتحـــرُ
وكنتُ كروضةٍ جرداءَ
لا ماءٌ ... ولا شـجرُ
وحين تعانقَ القلبانِ
داعب عودَهُ الوتـرُ
وطاب العشقُ والسـهرُ

★ ★ ★

اغتــراب



كيف للقلب أن يعرف الإبتســامْ ؟
والصقورُ تروّعُ سربَ الحمامْ
والخفافيشُ ترتعُ وسط الظلامْ
والعصافيرُ تهجر أوكارها لبلادٍ
تُرجِّى لديها بقايا طعامْ !
والبلادُ التى تسكن القلبَ ــ
قد أسلمتْ رأسها للرَّغامْ
والحبيبُ الذى طالما صُنْتُهُ ــ
خان عهـدَ الغـرامْ
آهِ ياقلبىَ المســتهامْ !
كيف تعتادُ هذا الزمانَ الردىءَ ،
زمانَ المساحيقِ والعهــرِ ،

والصفقاتِ المريبةِ ، والقهـر
والرّدة الجاهلية والإنهزامْ
وقد عشت تحلم بالدفءِ ،
بالمدن البابليّـةِ ،
أدمنت لوناً غريباً من الحلم ،
لوناً غريباً من العشقِ ،
يمحو صداهُ فراغ الزحام
هل الحبُّ يكفي ...
لنعبر درب المستحيلاتِ ،
نقهر هذا الظلام العتيَّ ،
نسدّ المسافة بين الخصام وبين الوئامْ؟
أم تراهُ يضلُّ الطريقَ ،
يمـوت غريبـا
تشيّعه قهقهاتُ اللئامْ ؟

مقاطع من رسالة حزينة



مقاطع من رسالة حزينة

ـ ١ ـ

ياســــيدتى ...
فلنتنازلْ عن هذا الحبِّ ـ
لكى لا نفقدهُ يوماً ما ...
ولنقبــره بأيدينــا
حتى لا تنهشَهُـ وهو يجوبُ البيدَ وحيداًـ
فى الليل الذؤبـانْ

— ٢ —

أحببتك فى زمنٍ جهمٍ
تتكاثر فيه الغربانْ
وكلانا يعرف أن هوانا
بحرٌ ليس له شُطآنْ
وبأن الدرب تحاصرُه الأهوالُ ،
ويغمرهُ الطوفانْ
فلنحزنْ يوماً حتى لا نحيا العمرَ —
تطاردنا الأحــزانْ
ولنزدردِ الدمعَ ونسكنْ فى كهف النسيانْ

— ٣ —

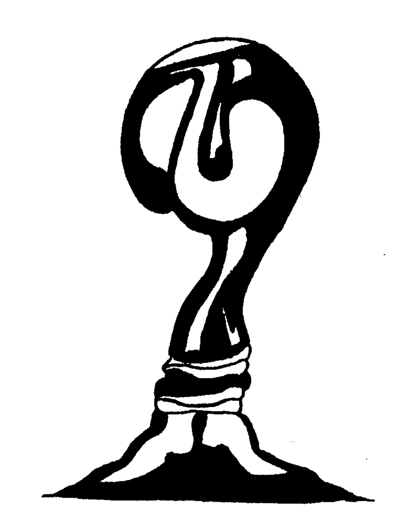
ياســـيدتى ...
كتب القدرُ علينا أن نختارْ
ما بين الموت بأيدينا
أو بين براثين الإعصارْ

★ ★ ★

ياســـيدتى ...
إنَّ علينا — اللحظةَ — أن نختارْ
ما بين النارِ ... وبين النارْ !



أســـئلة



أســـئلة

ســـألتُ الليـلَ
ــ والأحلامُ تكتئــبُ ــ
ــ لماذا يأفل القمرُ ؟
ــ ســـألت الروضَ
ــ والأشجارُ تنتحــبُ ــ
ــ لماذا تسقط الأوراقُ
والزَّهَـــــرُ ؟

ســألتُ البحــرَ
ـــ والأمواجُ تصطخـــبُ ـــ
لماذا يرحل الأحبابُ
لا يبقى لهم أثـرُ
سوى الأحزانِ فى الأحشاء تستعرُ
ودمعُ العينِ ينهمـرُ
فأوماَ : إنه القــدرُ !!



على عهده بالهوى لم يزلْ
يهيم بها البحرُ منذ الأزلْ
فيطوى المسافات شوقاً إليها
ويسمعها وشوشات الغزل
ويرسل أمواجه الهائمات
يدغدغنها بشهيّ القبل
ويرتاح دهراً على ساعديها
ويغزل من ثوبها عُقْدِ فُلْ
فيأتلق السحر فى مقلتيها
وتختال فاتنةً ذات دَلْ

* * *

أحبكِ والحبُّ لو تعلمينَ
ربيع القلوب ونور المقل
وألقاكِ فجراً شهيّ الضياءِ
يبدد ليل الأسى والملل
وحين يحاصرنى الاغترابُ
أعانق فى مقلتيكِ الأمل
فأنت التى تسكنين الفؤادَ
وكل البلاد ــ سواك ــ طلل

* * *



إلى طفل شهيد
من أطفال الحجارة



أسمعوهُ .. وهو فى المهدِ ..
أهازيجَ البطولــةْ
حدّثوهُ عن صلاح الدينِ .. عن حطّينَ ..
عن أُسدِ صئولـةْ ..
أرضعوهُ ثدىَ أمٍّ
لم تكن يوماً ذليلةْ
ولد الطفلُ كبيراً ،
يعشـــقُ الأرضَ ،
ويسمو فوق أحلام الطفولةْ

* * *

سدَّد الطفلُ إلى القرصانِ سهماً ..
وحجـــز
فتلقَّاهُ بسيلٍ من رصاصٍ ..
منهـــمز
سقط الطفلُ على الأرض شهيداً ..
وعلى أجفانهِ فجرٌ .. ودفلى ..
وزَهَـــرْ

* * *

أيها الأطفـــالُ
يا من تضربون المثل الأعلى
صموداً .. وجســـاره

منكمُ تأتى البشــاره
أنتمُ غيرتم التاريخَ ،
عدّلتــم مســـارَه
وعبرتمْ حاجزَ القهــرِ
وحطّمتــم جــدارَه
ونسختم آية الليل اليهودىّ ،
ومزّقتم ســـتارَه
وغسلتم عارنا العربىَّ ،
أخمدتــم أُواره
فافرشوا الأرضَ أزاهيـرَ
لأطفـــالِ الحجـــاره

★ ★ ★

الوجوه القبيحة



الوجوهُ القبيحةُ تغزو الميادينَ ،
تحملُ ريحَ العفونـةِ ،
تفسد هذا الهواء النقيَّ ،
وتشرب من نيلنا ظامئات
رأيتهمُ : يملأونَ الشوارعَ ،
يغشون كُلَّ الأزقّـةِ ،
يستنزفونَ الحوانيتَ ،
يلتقطونَ المناظرَ للناسِ
والواجهــاتْ
عرايـا يســيرونَ ،
تلفظهم ردهاتُ الشوارع ،
ترمقهم نظرات الخناجرِ ،

تحرقهم همهماتُ الملايين ،
والحوقــلاتْ
يخالجنى العارُ حين أشاهد رايتهم
وهى تغزو الســماءْ
تشدُّ أبا الهولِ من أذنيهِ ،
تناطحُ أهرامنا فى ازدراءْ
وتسخرُ منّا صباحَ مساءْ
ثكلتك يا زمنَ الإنحنـاءْ

الحصـــار



الحصـــار

حاصروهـــمْ
وهمُ عزلٌ بلا أىّ سلاحْ
روّعوا سرب الطيور الآمنهْ
سوّدوا وجهَ الصَّباحْ
زرعوا الرعب بجوف الأرضِ
تنّينــاً كبيــراً
كحّلوا عين الصبايا .. بالنواحْ
أطلقوا النار على الشمسِ صباحاً
حين كانت تمنح الدفءَ لأيتامٍ
صغـــارْ
وضعوا الألغام فى وجه النهارْ
فجّروا الغلَّ عيوناً
ثم لجّوا فى الحصارْ

* * *

آهِ .. يا أتباع عيسى ... ومحمَّدْ
طال هذا الليلُ ..
والقرصانُ عربــدْ
أنت ياقدسُ جراحٌ تتجدَّدْ
فمتى الفجرُ بأعتابكِ يُولدْ ؟

★ ★ ★



أقوال أخرى للحلاج



في غرفة التحقيقِ .. والأضواءُ باهتةٌ ،
وبردُ الليلِ يلسعنى ،
ووشمُ السوطِ يلهبنى ،
وخلف الباب كهَّانٌ وحراسٌ —
وقطعانٌ من الدهماء تلعننى
وتحمل لافتاتِ إدانتى ..
قال المحققُ وهو ينظر فى ضجرْ :
ألديك ياحلَّاجُ أقوالٌ أُخَرْ ؟
فأجبتُ : خُذ عنّى ،
فليس يضايقُ المقتولَ تمثيلٌ بجثتهِ —
إذا هو قد جُزِرْ !
— سُحقاً لعصرٍ تُرجم الأفكارُ فيهِ ،

يُسحل الإنسان لو أبدى شهادته ،
يقول الناسُ : هذا قد تولّى
أو كفـــرْ !
قال المحققُ ـــ وهو ينظر فى ضجرْ :
ـــ ألديك ياحلاجُ أقوالٌ أُخَرْ ؟
ـــ كُهَّانكمْ قد صادروا حلمىَ ،
أضاعوا أحرفى ،
سكبوا نبيذ القلبِ ..
فى البيداءِ ألقونى ..
تناهشنى كلابُ الصيدِ ،
تنكرنى المدائنُ ،
تستعيذُ الأرضُ من ظلّى ،
تطاردنى الموانىءُ والجُزُرْ !!

قال المحققُ وهو ينظر فى ضجرْ :
ــ ألديك ياحلاج أقوال أُخرْ ؟
ــ قلت افتحوا الآن الملفاتِ القديمةَ ،
كى نعيدَ بها النظرْ
ــ حكامكم قد شوَّهوا بالأحرف الأولى ــ
خريطتنا ، أباحوا أرضنا للذئبِ ــ
يرتع فى البوادى والحضرْ !
وتمددوا فى قبضة الوهم المراوغ ،
واستطالوا فى انكسار الظلِّ ،
تاهوا بين أوهامِ التفاوضِ ،
واستعاراتِ البدائلِ ،
والسلام المنتظرْ !
هل تعرف الأمنَ الذئابُ ،
وهل يطيق بقاءه فى القيد حُرّ ؟!

قال المحققُ وهو ينظر في ضجرْ :
ــ ألديك ياحلاجُ أقوالٌ أُخَرْ ؟
ــ أنذرتكم شعباً طواه الجوعُ والإملاقُ
أضحى يحتضــــرْ
يتزاحم الأحياءُ والأمواتُ عن مأوىً لهم
أو مُسْـــتَقَرْ
فلتحذروا غضبَ الجياع فإنها النيرانُ ــ
لا تُبقى ــ إذا ما الليل طال ــ ولا تذرْ
أنذرتكم يوماً عبوساً يابنى قومى ،
فهل تغنى النُـذُرْ ؟!

عينـــــاكِ

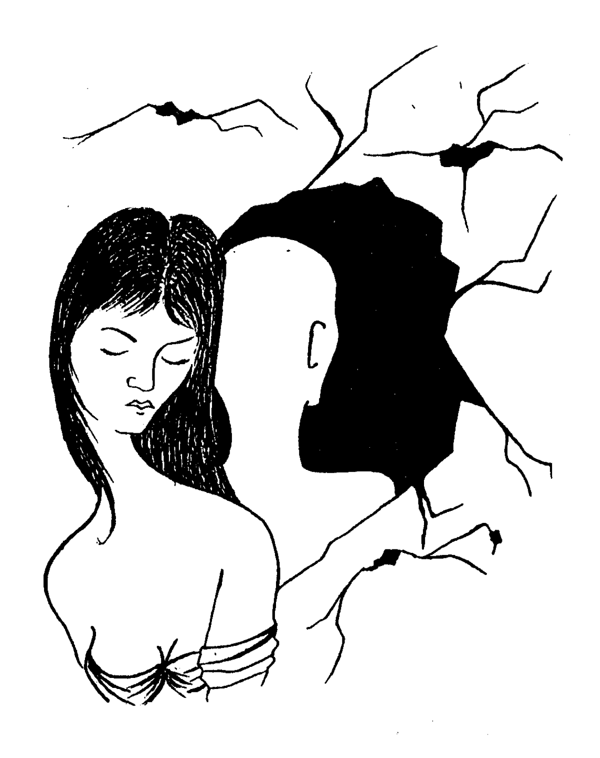


عينـــــاكِ

عيناكِ ياحبيبتى ندَّاهتانْ
تُغرّرانِ بالذى يحوم حول اللازورد فيهما
وتنسجانِ حول قلبه الشباكْ
وتبحرانِ بالمسافرِ الغريبِ ـــ
صوبَ قصرِ شهر زادْ

عيناكِ فارســـانِ ..
يُشهرانِ سيفَىْ الفتونِ والهوى
ويرشقانِ بالسهام من يحوم حول ذلك الحمى
ويرجمانِ كلَّ كافرٍ بلمعة البريق فيهما
ويفتحانِ كلَّ قلعةٍ مُحصنَّةْ
ويُنشدانِ قول شاعرٍ حكيم :
« مَنْ ولى
فى أمةٍ أمراً ولم يعدلِ
يُعْـــزَلِ
إلا لحاظَ الرشأ الأكحلِ »

مكاشـــفة



مكاشـــفة

حبيبتى التى على غرامها فُطمتُ فى الصبّا
رأيتُها تخوننى ..
من ألف عام أو يزيدْ
تضاجع الملوكَ واللصوص والعبيدْ
وتمنح الوداد للقريب والبعيدْ

وكلما هتفتُ باسمها ، ناديتُها
تشيحُ عنّى وجهها .. تصدُّنى ..
تضنُّ أن تجود مرةً بالابتسامْ
أنا الذى رضيتُ أن أكونَ خادماً
بقصرهـــا ..
أقدّمُ الولاءَ للّئامْ

وآكل الفتات أو أبيت طاوياً ..
أشدُّ حول بطنىَ الحزامْ
وكنتُ إن دعيت للطعانْ
أسابق الرياح والفرسانْ
آهِ من الغرام ياحبيبتى
إن أزهرت أوراقُهُ فى موسم الأحزانْ

* * *

حبيبتى العنيدة المعذَّبهْ
مليكك الأخيرُ ليس يحسن الغناءَ
والطـــــربْ ...
ولا يجيد فن العشقِ .. ليس يعرف المكابدةْ
وحينما أتاكِ دونما اختيارْ
أعياهْ حلُّ اللغزِ عند بابك العتيقْ
فتاهَ فى الطريقْ
وأسلم الزّمام للصّغارْ
يصادرونَ ، يعبثونَ ، يفسدونْ ..
وينهبونَ « حصّةَ » العبيد والخدمْ
والعاشقُ الجديدُ ياحبيبتى

يبدّد النهـــارْ
بين ارتياد حلقة السمّارْ
وصحبةِ الأضياف والزوّارْ

حاشية :

[نامت نوطيرُ مصـر عن ثعالبها
وقد بشمنَ فما تغنى العناقيدُ]

★ ★ ★



والآن ياحبيبتى أراكِ رثّةَ الشبابْ
هتيــكةَ الإزارْ
يشلُّ خطوكِ الثقيل ما حملتهِ
مـن الأوزارْ
وخلفك الجياعُ متعبينَ .. تائهينْ
وحولك الحراسُ نائمين .. متخمينْ
وعند بابك الثعالبُ المراوغةْ
فهل تراك ـــ بعدُ ـــ تبصرين .. تحذرينْ !!





يقولـــــون



يقولـــــون

يقولون إنك ما عدت كما كنتِ بالأمسِ
تأتلقيـــــنْ ..
وإنَّ بقلبك حزناً دفينْ
وإنك أصبحتِ مقعدةً .. تخرفينْ !
يقولون إنك بعتِ بنيكِ ،
وأسلمتهمْ للبلادِ البعيدة ،
حيث النخاسة والرقُ ،
حيث الميادينُ تلفظهمْ ،
والوجوهُ القبيحةُ تلعنهم ،
والسُكارى يدوسونهم بالنعالِ ،
وحيث التوابيتُ تحملهم كل يومٍ ،
يموتونَ قهراً .. ولا تسألينْ !

ولكننى لا أصدّقُ ما يدَّعونْ
لأنى أراك بعين الرّضا
لا بعين الظنـــونْ
فماذا تغير فيكِ .. أجيبى ؟
هل الذنب ذنبك أم ذنبنا نحنُ ..
حين تركناك دهراً ..
فأسلمتِ قلبك للغرباءِ وللطامعينْ
أجيبـــى ،
فهذا زمانٌ تِصادر فيه المشاعرُ ،
تُقتلُ فيه البـراءةُ ،
تجنح فى شاطئيه السَّفينْ

ومهما حجبتِ الجوابَ ،
فإن المحبينَ يغتفرونَ الإساءةَ ،
يفنـون عشـقاً ،
يذوبـون وجـداً ،
تبوح بسرّ الغرام العيونْ
أحبُك لحناً يطوف على شفة المتعبينْ
وغيثاً يزفُّ نداهُ إلى الظامئينْ
أحبُك رغم احتجاجى عليكِ ،
ورغم التجاعيدِ فى وجنتيكِ ،
ورغم انكسارِكِ .. رغم الذبولِ
ورغم الكآبةِ فى مقلتيكِ
ومهما قسوتِ ، ومهما نأيتِ
يظلّ حنينى وشوقى إليكِ

أحبُكِ .. كونى كما شئتِ
كونى عذابى وجرحى
وكونى ملاذى وفرحى
وكونى على الثغر ألف ابتسامه
وإن عربد ألقيظُ .. كونى غمامه
وإن ذوّبتنى عيونكِ ..
كونى يمامـه
وإن مت عشقاً ،
فقلبى رهينٌ لديك .. ليوم القيامه



تداعيات ديك الجن



تداعيات ديك الجن

— ١ —

صاحَ ديكُ الجنِّ فى جمع العشائرْ
أنتم الأوْلى بطعناتِ الخناجرْ
لم تكن ليلاىَ يوماً فاجره
لم تخنّى مع فاجرْ
إننى أقرع سنّى .. ندَما
إننى أبكى على ليلى .. دمَا
ليتنى كنت ترابا .. عدَما

— ٢ —

صحبتنى ونحن تائهان فى مدائنِ —
الدخانِ والدُّمى
توحشت لحاظُنا ،
وأنهك الطريقَ رحلُنا
وليس ثمَّ حولنا سوى السفائن المحطّمة
ولافتاتٍ باهتاتٍ .. مُظلمه
وثلة من الجنود والعسَسْ
ووحشة القبور والظلام والسكونْ

— ٣ —

صوت أول :

أضاعونى وأىّ فتىً أضاعوا
ليوم كريهةٍ وسداد ثغرِ

صوت ثان :

مفاعلتن مفاعلتن فعولن
حديثُ خرافةٍ يا أمَّ عمروِ

صوت ثالث :

أرى تحت الرماد وميضَ نارٍ
ويوشك أن يكون له ضرامُ

— ٤ —

صدَّقت الواشينَ وأغمدت بقلبكِ سيفى
وظننتُ بأنى أغسل عارى ،
أمحو سوءةَ تاريخى ،
وبكيتُ طويلاً ..
حين رأيتُ على شفتيك حروفى ،
وبعينيك ندائى
وعلى ساعدك اسمى منقوشاً —
بمدادٍ أخضرْ
وعلى الجسد الواهن يلتفُّ ردائى ..
لكنْ لم يشف الدمعُ نتوءاتِ القلبِ —
المكلـــومْ
فجعلت رفاتك كأساً أشربها كل صباحٍ ومساءْ
علّى ألقاكِ خيالاً يقهر ظمئى ،
يحرق ندمى .. يغتالُ اللغةَ الخرساء

ــ ٥ ــ

[يا آل حمص توقعوا من نارها
خزياً يحلّ عليكمُ ووبالا]

— ٦ —

ها أنذا أجمع أشلاءكِ
من ذاكرة الأيام السوداءِ ،
أحــاول لثمـكِ ،
أحضنُ هذا الجسدَ المتألِّه ، ،
أنسجُ من ريشي فيئاً ،
وجناحيّ نسيماً ،
حتى أبعث فى شريان القلبِ الساكنِ
نبضَ حيـــاة
يورق فى أزمنة الجدب الصفراء

دع الآن ذكر الدُّمى



— ١ —

بكى صاحبى لما رأى الدربَ دونَهُ
وأيقن أنَّا لاحقانِ بقيصرا
فقلتُ له : لا تبكِ عينُك ، إنما
نُحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

★ ★ ★

وكنا أناساً قبل غزوة قرمل
ورثنا الغنى والمجدَ أكبرَ أكبرا*

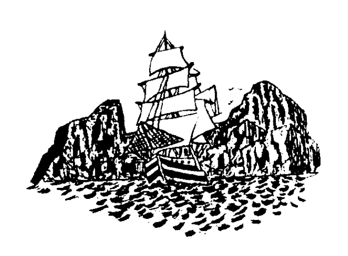
---

*الأبيات من قصيدة لامرىء القيس

دع الآن ذكر الدُمى
والدّمـــنْ
وخلّ الحنين .. ولا تبكينْ
وودّع هريرة
أو فانســـها ..
ولا تبك ليلى ..
ولا تطربـــن
ولا تصف الراح في دنّها
ولا تقتنصهـا ..
ولا تشـــربنْ
ولا تذكرنّ الزمان البعيد

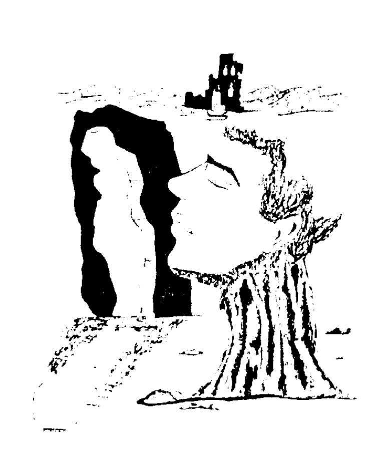


ولا تمدحنْ .. ولا تفخــرنْ
فلن يُرجع الحزنُ ما ضاع منّا
ولن يدفع الفخرُ عنّا المحن
فإنا نواجهُ زحف التتارِ .
وغدر الصغار ،
ونار الفتنْ
هم الآن يأتون من كل فجٍّ
قراصنةً .. يسبقون الزمنْ
لينتشروا كالجراد اللعين
يبيــد الزروع ،
يشــيع العطــنْ



ونحن يحاصرنا الانكسار
ويسلمنا للممات الوهنْ
ونهدر أحلامنا بالتناحر
نحرقها فى أتون الإحنْ
نتاجرُ بالدينِ فى كل سوقٍ
ونرتدُّ .. لا نستبين السُّنَنْ
وهل يقبل الله منا الدعاءَ
ونحن نصلى لألف وثن ؟
ونســـأل
والليلُ ينشر ألوية الخوفِ :
من ضد من ؟
فأخوةُ يوسفَ يستبقون
لقتل اليمام .. بكل فننْ

وقابيل آدم سفك دماء
عشيرته في الخفا والعلن
وكم آزروه بأرواحهم
وأموالهم في الوغى دون من
فكافأهم باجتياح الديار
ومحو وجوه القرى والمدن
قضى الله أن يقطع السارقون
فكيف بمن يسرقون وطن ؟



فبادر ، فهذا زمانُ الصقورِ
ومن لم يصن عرضه يُمتهنْ
وحاذرْ ، فحولك تعدو الذئابُ
وتسعى الأفاعى .. فلا تأمننْ
وكن أنت وحدك درعاً وسيفاً
وسدِّد سهامك .. لا تجبننْ
فإما نكون أسودَ العرينِ
وإما نصير كأنْ لم نكنْ

* * *

المحتويـــات

صدر للمؤلف

* **فى الإبداع الشعرى**

* أحبك رغم أحزانى — جـــــدة ١٩٨٦
* لدى أقوال أخرى — الإسكندرية ١٩٩٠

** **فى الأدب الحديث :**

* شعراء معاصرون
* التجديد فى شعر العقاد
* فى الشعر السعودى المعاصر
* فى دائرة الإبداع الشعرى

*** **فى موسيقى الشعر :**

* العروض العربى ومحاولات التطور والتجديد (الطبعة الثانية)
* كتاب العروض صنعة أبى الفتح عثمان بن جنّى — تحقيق ودراسة

**** فى الدراسات الأندلسية :

* الشعر الأندلسى فى عصر الموحدين (الطبعة الثانية)
* الشعر العربى فى صقلية
* الهجاء فى الأدب الأندلسى
* ابن زهر الحفيد وشاح الأندلس
* ابن مرج الكحل ـــ حياته وشعره
* الزرزوريات ـــ نشأتها وتطورها
* أبو عبد الله بن أبى الخصال رئيس كتاب الأندلس
* رسائل أندلسية
* رسائل ومقامات أندلسية
* الموشحات والأزجال الأندلسية